تفسير سورة الجن

هى ثمان وعشرون آية . وهى مكية . قال القرطبى : فى قول الجميع . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة الجن بمكة . وأخرج ابن مردويه عن عائشة وابن الزبير مثله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) ﴾

قوله : ﴿ قل أوحى إلىّ ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ أوحى ﴾ رباعيًا . وقرأ ابن أبى عبلة وأبو إياس والعتكى عن أبى عمرو : « وحى » ثلاثيا ، وهما لغتان . واختلف هل رآهم النبىّ ﷺ أم لم يرهم ؟ فظاهر القرآن أنه لم يرهم ؛ لأن المعنى : قل يا محمد لأمتك : أوحى إلىّ على لسان جبريل ﴿ أنه استمع نفر من الجنّ ﴾ ومثله قوله : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ [الأحقاف : ٢٩] ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيح عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ وما رآهم . قال عكرمة : والسورة التى كان يقرؤها رسول الله ﷺ هى ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ [العلق : ١] وقد تقدّم فى سورة الأحقاف ذكر ما يفيد زيادة فى هذا . قوله : ﴿ أنه استمع نفر من الجن ﴾ هذا هو القائم مقام الفاعل ؛ ولهذا فتحت أنّ ، والضمير للشأن ، وعند الكوفيين والأخفش يجوز أن يكون القائم مقام الفاعل الجار والمجرور ، والنفر : اسم للجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة . قال الضحاك : والجنّ ولد الجانّ وليسوا شياطين . وقال الحسن : إنهم ولد إبليس ، قيل : هم أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم

النارية والهوائية . وقيل: نوع من الأرواح المجرّدة . وقيل : هى النفوس البشرية المفارقة لأبدانها .

وقد اختلف أهل العلم فى دخول مؤمنى الجنّ الجنة كما يدخل عصاتهم النار؛ لقوله فى سورة تبارك : ﴿وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ [الملك : ٥] وقول الجنّ فيما سيأتى فى هذه السورة : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ [الجن : ١٥] وغير ذلك من الآيات ، فقال الحسن : يدخلون الجنة ، وقال مجاهد: لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار ، والأوّل أولى ؛ لقوله فى سورة الرحمن :﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ﴾ [الرحمن : ٥٦] وفى سورة الرحمن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها ، وقد قدّمنا أن الحق أنه لم يرسل الله إليهم رسلا منهم ، بل الرسل جميعا من الإنس وإن أشعر قوله: ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [الزمر : ٧١] بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة فى الكتاب العزيز دالة على أن الله سبحانه لم يرسل الرسل إلا من بنى آدم ، وهذه الأبحاث الكلام فيها يطول ، والمراد: الإشارة بأخصر عبارة .

﴿ **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا** ﴾ أى قالوا لقومهم لما رجعوا إليهم ، أى سمعنا كلاما مقروءا عجبا فى فصاحته وبلاغته . وقيل : عجبا فى مواعظه . وقيل : فى بركته ، وعجبا مصدر وصف به للمبالغة ، أو على حذف المضاف ، أى ذا عجب ، أو المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أى معجبا ﴿ **يهدى إلى الرشد** ﴾ أى إلى مراشد الأمور ، وهى الحقّ والصواب. وقيل : إلى معرفة الله ، والجملة صفة أخرى للقرآن ﴿ **فآمنا به** ﴾ أى صدّقنا به بأنه من عند الله ﴿**ولن نشرك بربنا أحدا**﴾ من خلقه ولا نتخذ معه إلها آخر؛ لأنه المتفرد بالربوبية، وفى هذا توبيخ للكفار من بنى آدم حيث آمنت الجنّ بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرات متعدّدة وتلاوته عليهم فى أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل، ولعذاب الآخرة أشدّ لو كانوا يعلمون.

﴿ **وأنه تعالى جدّ ربنا** ﴾ قرأه حمزة والكسائى وابن عامر وحفص وعلقمة ويحيى بن وثاب والأعمش وخلف والسلمى : ﴿ **وأنه تعالى** ﴾ بفتح أنّ ، وكذا قرؤوا فيما بعدها مما هو معطوف عليها ، وذلك أحد عشر موضعا إلى قوله : ﴿ وأنه لما قام عبد الله﴾ [الجن :١٩]. وقرأ الباقون بالكسر فى هذه المواضع كلها إلا فى قوله :﴿ وأن المساجد لله﴾[الجن: ١٨] فإنهم اتفقوا على الفتح ، أما من قرأ بالفتح فى هذه المواضع ، فعلى العطف على محل الجار والمجرور فى :﴿ **فآمنا به**﴾ كأنه قيل : فصدّقناه وصدقنا أنه تعالى جدّ ربنا إلخ .وأما من قرأ بالكسر فى هذه المواضع فعلى العطف على :﴿ **إنا سمعنا**﴾ أى فقالوا :إنا سمعنا قرآنا ، وقالوا :إنه تعالى جدّ ربنا إلى آخره. واختار أبو حاتم وأبو عبيد قراءة الكسر ؛ لأنه كله من كلام الجنّ ومما هو محكىّ عنهم بقوله : ﴿ **فقالوا إنا سمعنا** ﴾ ، وقرأ أبو جعفر وشعبة بالفتح فى ثلاثة

مواضع، وهى : ﴿وأنه تعالى جدّ ربنا﴾ ، ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ ، ﴿ وأنه كان رجال من الإنس ﴾ قالا : لأنه من الوحى ، وكسرا ما بقى ؛ لأنه من كلام الجنّ . وقرأ الجمهور : ﴿ وأنه لما قام عبد الله ﴾ [الجن : ١٩] بالفتح لأنه معطوف على قوله : ﴿ أنه استمع ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وشيبة وزرّ بن حبيش وأبو بكر والمفضل عن عاصم بالكسر فى هذا الموضع عطفا على ﴿فآمنا به ﴾ بذلك التقدير السابق واتفقوا على الفتح ؛ فى : ﴿ أنه استمع ﴾ كما اتفقوا على الفتح فى : ﴿ أنّ المساجد ﴾ [الجن : ١٨] وفى : ﴿ وأن لو استقاموا ﴾[الجن : ١٦] واتفقوا على الكسر فى : ﴿ فقالوا إنا سمعنا ﴾ و : ﴿ قل إنما أدعو ربى ﴾[الجن : ٢٠] و : ﴿قل إن أدرى ﴾ [الجن : ٢٥] و: ﴿قل إنى لا أملك لكم ﴾ [الجن : ٢١] .

والجدّ عند أهل اللغة : العظمة والجلال ، يقال : جدّ فى عينى ، أى عظم ، فالمعنى : ارتفع عظمة ربنا وجلاله ، وبه قال عكرمة ومجاهد . وقال الحسن : المراد : تعالى غناه ، ومنه قيل : للحظ جدّ ، ورجل مجدود، أى محظوظ ، وفى الحديث : « ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ » (١) . قال أبو عبيد والخليل : أى لا ينفع ذا الغنى منك الغنى ، أى إنما تنفعه الطاعة، وقال القرطبى والضحاك : جدّه : آلاؤه ونعمه على خلقه . وقال أبو عبيدة والأخفش : ملكه وسلطانه . وقال السدّى : أمره . وقال سعيد بن جبير : ﴿ وأنه تعالى جدّ ربنا ﴾ أى تعالى ربنا . وقيل : جدّه : قدرته . وقال محمد بن علىّ بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ابن أنس : ليس لله جدّ ، وإنما قالته الجنّ للجهالة . قرأ الجمهور : ﴿ جدّ ﴾ بفتح الجيم ، وقرأ عكرمة وأبو حيوة ومحمد بن السميقع بكسر الجيم ، وهو ضدّ الهزل . وقرأ أبو الأشهب : «جدى ربنا » أى جدواه ومنفعته . وروى عن عكرمة أيضا أنه قرأ بتنوين : « جدّ » ورفع : «ربنا » على أنه بدل من جدّ ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ هذا بيان لتعالى جدّه سبحانه . قال الزجاج : تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا ، وكأن الجن نبهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون إلى الله الصاحبة والولد ، ونزّهوا الله سبحانه عنهما .

﴿ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ﴾ الضمير فى : ﴿ أنه ﴾ للحديث أو الأمر ، و﴿سفيهنا﴾ يجوز أن يكون اسم كان ، و﴿ يقول ﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ﴿سفيهنا﴾ فاعل يقول، والجملة خبر كان ، واسمها ضمير يرجع إلى الحديث أو الأمر ، ويجوز أن تكون كان زائدة ، ومرادهم بسفيههم : عصاتهم ومشركوهم . وقال مجاهد وابن جريج وقتادة : أرادوا به إبليس . والشطط : الغلوّ فى الكفر ، وقال أبو مالك : الجور ، وقال الكلبى : الكذب . وأصله البعد عن القصد ومجاوزة الحدّ ، ومنه قول الشاعر :

بأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك إلا حيث يمك الوخط (٢)

(١) مسلم فى الصلاة (٤٧٧ / ٢٠٥) عن أبى سعيد .

(٢) الوخط : قيل : هو استواء البياض والسواد ، وقيل : هو فشو الشيب فى الرأس ، وقيل غيره .

﴿ **وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجنّ على الله كذبا** ﴾ أى إنا حسبنا أن الإنس والجنّ كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكا وصاحبة وولدا ، فلذلك صدّقناهم فى ذلك حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق ، وانتصاب كذبا على أنه مصدر مؤكد ليقول لأن الكذب نوع من القول ، أو صفة لمصدر محذوف ، أى قولا كذبا . وقرأ يعقوب والجحدرى وابن أبى إسحاق : « أن لن تقوّل » من التقوّل ، فيكون على هذه القراءة كذبا مفعول به ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ** ﴾ قال الحسن وابن زيد وغيرهما : كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه فيبيت فى جواره حتى يصبح ، فنزلت هذه الآية . قال مقاتل : كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم ﴿**فزادوهم رهقا** ﴾ أى زاد رجال الجنّ من تعوّذ بهم من رجال الإنس رهقا ، أى سفها وطغيانا ، أو تكبرا وعتوّا ، أو زاد المستعيذون من رجال الإنس من استعاذوا بهم من رجال الجنّ رهقا ؛ لأن المستعاذ بهم كانوا يقولون :سدنا الجنّ والإنس ، وبالأوّل قال مجاهد وقتادة ، وبالثانى قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد . والرهق فى كلام العرب : الإثم وغشيان المحارم ، ورجل رهق : إذا كان كذلك ، ومنه قوله: ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ [المعارج : ٤٤] أى تغشاهم، ومنه قول الأعشى :

لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى عاشق ما لم يصب رهقا

يعنى : إثما . وقيل الرهق : الخوف ، أى أن الجنّ زادت الإنس بهذا التعوذ بهم خوفا منهم . وقيل : كان الرجل من الإنس يقول : أعوذ بفلان من سادات العرب من جنّ هذا الوادى، ويؤيد هذا ما قيل من أن لفظ رجال لا يطلق على الجنّ ، فيكون قوله : ﴿ **برجال** ﴾ وصفا لمن يستعيذون به من رجال الإنس ، أى يعوذون بهم من شر الجنّ ، وهذا فيه بعد . وإطلاق لفظ رجال على الجنّ على تسليم عدم صحته لغة لا مانع من إطلاقه عليهم هنا من باب المشاركة . ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا** ﴾ هذا من قول الجنّ للإنس ، أى وإن الجنّ ظنوا كما ظننتم أيها الإنس أنه لا بعث . وقيل : المعنى : وإن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجنّ ، والمعنى : أنهم لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون ﴿ **وأنا لمسنا السماء** ﴾ هذا من قول الجنّ أيضا ، أى طلبنا خبرها كما به جرت عادتنا ﴿ **فوجدناها ملئت حرسا** ﴾ من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع ، والحرس جمع حارس ، و﴿**شديدا** ﴾ صفة لـ ﴿ **حرسا** ﴾ أى قويا ﴿ **وشهبا** ﴾ جمع شهاب ، وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب كما تقدّم بيانه فى تفسير قوله : ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ [الملك : ٥] ومحل قوله : ﴿ **ملئت حرسًا شديدًا** ﴾ النصب على أنه ثانى مفعولى وجدنا ؛ لأنه يتعدّى إلى مفعولين ، ويجوز أن يكون متعدّيا إلى مفعول واحد ، فيكون محل الجملة النصب على الحال بتقدير قد ، وحرسا منصوب على التمييز، ووصفه بالمفرد اعتبارا باللفظ ، كما يقال : السلف الصالح ، أى الصالحين .

﴿ **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع** ﴾ أى وأنا كنا معشر الجنّ قبل هذا نقعد من السماء مقاعد للسمع ، أى مواضع نقعد فى مثلها لاستماع الأخبار من السماء ، و﴿ **للسمع** ﴾ متعلق بـ ﴿ **نقعد** ﴾ أى لأجل السمع ، أو بمضمر هو صفة لمقاعد ، أى مقاعد كائنة للسمع ، والمقاعد جمع مقعد اسم مكان ، وذلك أن مردة الجنّ كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها إلى الكهنة ، فحرسها الله سبحانه ببعثه رسوله ﷺ بالشهب المحرقة ، وهو معنى قوله : ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** ﴾ أى أرصد له ليرمى به ، أو لأجله لمنعه من السماع، وقوله : ﴿**الآن** ﴾ هو ظرف للحال واستعير للاستقبال ، وانتصاب ﴿ **رصدا** ﴾ على أنه صفة لـ ﴿ **شهابا** ﴾ أو مفعول له ، وهو مفرد ويجوز أن يكون اسم جمع كالحرس .

وقد اختلفوا هل كانت الشياطين ترمى بالشهب قبل المبعث أم لا ؟ فقال قوم : لم يكن ذلك ، وحكى الواحدى عن معمر قال : قلت للزهرى : أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية ؟ قال: نعم ، قلت : أفرأيت قوله : ﴿**وأنا كنا نقعد منها** ﴾ الآية ، قال : غلظت وشدد أمرها حين بُعث محمد ﷺ . قال ابن قتيبة : إن الرجم قد كان قبل مبعثه ، ولكنه لم يكن مثله فى شدة الحراسة بعد مبعثه ، وكانوا يسترقون فى بعض الأحوال ، فلما بعث منعوا من ذلك أصلا . وقال عبد الملك بن سابور : لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد ، فلما بعث محمد ﷺ حرست السماء ، ورميت الشياطين بالشهب ، ومنعت من الدنوّ إلى السماء . وقال نافع بن جبير : كانت الشياطين فى الفترة تسمع فلا ترمى ، فلما بعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب ، وقد تقدّم البحث عن هذا .

﴿ **وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا** ﴾ لا ندرى أشرّ أريد بأهل الأرض بسبب هذه الحراسة للسماء ، أو أراد بهم ربهم رشدا ؟ أى خيرا . قال ابن زيد : قال إبليس : لا ندرى أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا ؟ وارتفاع ﴿ **أشرٌ** ﴾ على الاشتغال ، أو على الابتداء ، وخبره ما بعده ، والأول أولى ، والجملة سادّة مسدّ مفعولى ندرى ، والأولى أن هذا من قول الجنّ فيما بينهم ، وليس من قول إبليس كما قال ابن زيد. ﴿ **وأنا منا الصالحون** ﴾ أى قال بعض لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ : وأنا كنا قبل استماع القرآن سنا الموصوفون بالصلاح ﴿ **ومنا دون ذلك** ﴾ أى قوم دون ذلك ، أى دون الموصوفين بالصلاح . وقيل : أراد بـ﴿**الصالحون**﴾ : المؤمنين ، وبمن هم دون ذلك : الكافرين ، والأوّل أولى ، ومعنى ﴿ **كنا طرائق قددًا** ﴾ : أى جماعات متفرقة وأصنافا مختلفة ، والقدة : القطعة من الشىء ، وصار القوم قددا : إذا تفرقت أحوالهم ، ومنه قول الشاعر :

القابض الباسط الهادى لطاعته ... فى فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

والمعنى : كنا ذوى طرائق قددًا ، أو كانت طرائقنا طرائق قددًا ، أو كنا مثل طرائق قددًا ،

ومـن هـذا قول لبيد :

لـم تبلـغ العـين كـــل نهمتهــا يـــوم تمشى الجيــاد بالقـــدد

وقوله أيضا :

ولقــد قــلت وزيــد حــاسـر يـوم ولت خيل عمــرو قددا

قال السدّى والضحاك : أدياننا مختلفة ، وقال قتادة : أهواء متباينة ، وقال سعيد بن المسيب: كانوا مسلمين ويهود ونصارى ومجوسًا . وكذا قال مجاهد . قال الحسن : الجنّ أمثالكم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة ، وكذا قال السدّى . **﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض﴾** الظنّ هنا بمعنى العلم واليقين ، أى وإنا علمنا أن الشأن لن نعجز الله فى الأرض أينما كنا فيها ، ولن نفوته إن أراد بنا أمرا **﴿ولن نعجزه هربا﴾** أى هاربين منها ، فهو مصدر فى موضع الحال . **﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾** يعنون : القرآن **﴿آمنا به﴾** وصدّقنا أنه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الإنس **﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾** أى لا يخاف نقصا فى عمله وثوابه ، ولا ظلما ومكروها يغشاه ، والبخس : النقصان ، والرهق : العدوان والطغيان ، والمعنى : لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزاد فى سيئاته ، وقد تقدم تحقيق الرهق قريبا . قرأ الجمهور : **﴿بخسا﴾** بسكون الخاء . وقرأ يحيى بن وثاب بفتحها . وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: « فلا يخف » جزمًا على جواب الشرط، ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء ، والتقدير : فهو لا يخاف والأمر ظاهر .

وقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن ابن عباس قال : انطلق النبىّ ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ (١) ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا بشىء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الأمر الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبىّ ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له. قالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم **﴿فقالوا﴾** يا قومنا **﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾** فأنزل الله على نبيه ﷺ : **﴿قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ﴾** وإنما أوحى إليه قول الجن (٢) .

---

(١) هو موضع بقرب مكة ، كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما .

(٢) أحمد ١ / ٢٥٢ والبخارى فى الأذان (٧٣٧) ومسلم فى الصلاة (٤٤٩ / ١٤٩) والترمذى فى التفسير (٣٣٢٣) والنسائى فى التفسير (٦٤٤) .

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجنّ**﴾ قال : كانوا من جن نصيبين .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأنه تعالى جدّ ربنا** ﴾ قال : آلاؤه وعظمته . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : أمره وقدرته . وأخرج ابن مردويه والديلمى ، قال السيوطى : بسند واه ، عن أبى موسى الأشعرى مرفوعا فى قوله : ﴿**وأنه كان يقول سفيهنا** ﴾ قال : إبليس . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم ، والعقيلى فى الضعفاء ، والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه وابن عساكر عن عكرمة بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى إلى المدينة فى حاجة ، وذلك أوّل ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم ، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، أنا جارك ، فنادى مناد يا سرحان أرسله ، فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ**﴾ [1] الآية . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**فزادوهم رهقا** ﴾ قال : إثما . وأخرج ابن مردويه عنه قال : كان القوم فى الجاهلية إذا نزلوا بالوادى قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادى من شرّ ما فيه ، فلا يكون بشىء أشدّ ولعًا منهم بهم فذلك قوله : ﴿ **فزادوهم رهقا** ﴾ .

وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن جرير والطبرانى ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس قال : كانت الشياطين لهم مقاعد فى السماء يسمعون فيها الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زادوا ، فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم : ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلى بين جبلين بمكة ، فأتوه فأخبروه فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض[2] . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك** ﴾ يقول : منا المسلم ، ومنا المشرك ، و ﴿ **كنا طرائق قددا**﴾ أهواء شتى . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **فلا يخاف بخسًا ولا رهقا** ﴾ قال : لا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة فى سيئاته .

﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦)**

---

(١) العقيلى فى الضعفاء ١ / ١٠١ والطبرانى (٤٣٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٣٢ : « فيه عبد الرحمن ابن إسحاق الكوفى ، وهو ضعيف » .

(٢) أحمد ١ / ٣٢٣ والترمذى فى التفسير (٣٣٢٤) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٦٤٦) وابن جرير ٢٦ / ٢٠ والطبرانى (١٢٤٣١) والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٢٣٩ .

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾

قوله : ﴿ **وأنا منا المسلمون** ﴾ هم الذين آمنوا بالنبيّ ﷺ ﴿ **ومنا القاسطون** ﴾ أى الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ، ومالوا إلى طريق الباطل . يقال : قسط : إذا جار ، وأقسط : إذا عدل ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشدا** ﴾ أى قصروا طريق الحق . قال الفراء : أمّوا الهدى . ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** ﴾ أى وقودا للنار توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس . ﴿ **وألوا استقاموا على الطريقة** ﴾ هذا ليس من قول الجنّ بل هو معطوف على : ﴿ **أنه استمع نفر من الجن** ﴾ والمعنى : وأوحى إلىّ أن الشأن لو استقام الجنّ أو الإنس أو كلاهما على الطريقة ، وهى طريقة الإسلام ، وقد قدّمنا أن القراء اتفقوا على فتح « أن » هاهنا . قال ابن الأنبارى : والفتح هنا على إضمار يمين تأويلها : والله أن لو استقاموا على الطريقة كما فعل . يقال فى الكلام : والله لو قمت لقمت ، كما فى قول الشاعر :

أما والله أن لو كنت حراً ... ولا بالحرّ أنت ولا العتيق

قال : أو على ﴿ **أوحى إلى أنه استمع** ﴾ ، ﴿ **وأن لو استقاموا** ﴾ أو على ﴿ **آمنا به** ﴾ أى آمنا به ، وبأن لو استقاموا . قرأ الجمهور بكسر الواو من :« لو » لالتقاء الساكنين . وقرأ ابن وثاب والأعمش بضمها ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾ أى كثيرا واسعا . قال مقاتل : ماء كثيرا من السماء ، وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين . وقال ابن قتيبة : المعنى : لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم فى الدنيا ، وضرب الماء الغدق مثلا ؛ لأن الخير كله والرزق بالمطر ، وهذا كقوله: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا ﴾ الآية [المائدة : ٦٥] ، وقوله : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] وقوله : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ﴾ الآية [نوح : ١٠ ـ ١٢] . وقيل : المعنى : وأن لو استقام أبوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام؛ لأنعمنا عليهم ، واختار هذا الزجاج . والماء الغدق : هو الكثير فى لغة العرب .

﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ أى لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم ، وقال الكلبى : المعنى: وأن لو استقاموا على الطريقة التى هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا ؛ لأوسعنا أرزاقهم مكرا بهم واستدراجا حتى يفتنوا بها فنعذبهم فى الدنيا والآخرة ، وبه قال الربيع بن أنس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والثمالى ويمان بن زيان وابن كيسان وأبو مجلز ، واستدلوا بقوله : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ﴾ [الأنعام : ٤٤] ، وقوله : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ﴾ الآية [الزخرف : ٣٣] والأوّل أولى . ﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا** ﴾ أى ومن يعرض عن القرآن ، أو عن العبادة ، أو عن الموعظة ، أو عن جميع ذلك يسلكه ، أى يدخله عذابا صعدا ، أى شاقا صعبا . قرأ الجمهور : « نسلكه » بالنون مفتوحة . وقرأ الكوفيون وأبو عمرو فى رواية عنه بالياء التحتية ، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله : ﴿ **عن ذكر ربه** ﴾ ولم يقل : « عن ذكرنا » . وقرأ مسلم بن جندب وطلحة بن مصرف والأعرج بضم النون وكسر اللام ، من أسلكه . وقراءة الجمهور من سلكه ، والصعد فى اللغة : المشقة ، تقول: تصعد بى الأمر : إذا شقّ عليك ، وهو مصدر صعد . يقال : صعد صعدا وصعودا ، فوصف به العذاب مبالغة ؛ لأنه يتصعد المعذب ، أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه . قال أبو عبيد : الصعد : مصدر ، أى عذابا ذا صعد . وقال عكرمة : الصعد : هو صخرة ملساء فى جهنم يكلف صعودها ، فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم ،كما فى قوله: ﴿سأرهقه صعودا ﴾ [المدثر : ١٧] والصعود : العقبة الكؤود .

﴿ **وأن المساجد لله** ﴾ قد قدّمنا اتفاق القراء هنا على الفتح فهو معطوف على أنه استمع ، أى وأوحى إلىّ أن المساجد مختصة بالله . وقال الخليل : التقدير : ولأن المساجد ، والمساجد : المواضع التى بنيت للصلاة فيها . قال سعيد بن جبير : قالت الجنّ : كيف لنا أن نأتى المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك ؟ فنزلت . وقال الحسن : أراد بها كل البقاع ؛ لأن الأرض كلها مسجد ، وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب أراد بالمساجد : الأعضاء التى يسجد عليها العبد، وهى : القدمان والركبتان واليدان والجبهة ، يقول : هذه أعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله ، وكذا قال عطاء . وقيل : المساجد : هى الصلاة؛ لأن السجود من جملة أركانها ، قاله الحسن ﴿ **فلا تدعو مع الله أحدا** ﴾ من خلقه كائنا ما كان .

﴿ **وأنه لما قام عبد الله** ﴾ قد قدّمنا أن الجمهور قرؤوا هنا بفتح أن عطفا على أنه استمع ، أى وأوحى إلىّ أنّ الشأن لما قام عبد الله ، وهو النبىّ ﷺ ﴿ **يدعوه** ﴾ أى يدعو الله ويعبده ، وذلك ببطن نخلة كما تقدّم حين قام رسول الله ﷺ يصلى ويتلو القرآن ، وقد قدّمنا أيضا قراءة من قرأ بكسر إن هنا ، وفيها غموض وبعد عن المعنى المراد ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾ أى كاد الجنّ يكونون على رسول الله لبدا ، أى متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه . قال الزجاج. ومعنى ﴿ لبدا ﴾ : يركب بعضهم بعضا ، ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التى

تفرش . قرأ الجمهور : ﴿ **لبدا** ﴾ بكسر اللام وفتح الباء ، وقرأ مجاهد وابن محيصن وهشام بضم اللام وفتح الباء . وقرأ أبوحيوة ومحمد بن السميقع والعقيلى والجحدرى بضم الباء واللام. وقرأ الحسن وأبو العالية والأعرج بضم اللام وتشديد الباء مفتوحة ، فعلى القراءة الأولى المعنى ما ذكرناه ، وعلى قراءة ضم اللام يكون المعنى كثيرا ، كما فى قوله : ﴿ أهلكت مالا لبدا ﴾ [البلد: ٦] . وقيل : المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبيّ ﷺ . وقال الحسن وقتادة وابن زيد : لما قام عبد الله محمد بالدعوة ، تلبدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ، ويتم نوره ، واختار هذا ابن جرير . قال مجاهد : ﴿ **لبدا** ﴾ أى جماعات ، وهو تلبد الشىء على الشىء ، أى اجتمع ، ومنه : اللبد الذى يفرش لتراكم صوفه ، وكل شىء ألصقته إلصاقا شديدا فقد لبدته ، ويقال : للشعر الذى على ظهر الأسد : لبدة ، وجمعها لبد ، ويقال : للجراد الكثير : لبد ، ويطلق اللبد بضم اللام وفتح الباء على الشىء الدائم ، ومنه قيل لنسر لقمان : لبد لطول بقائه، وهو المقصود بقول النابغة :

أخنى عليها الذى أخنى على لبد

﴿ **قال إنما أدعو ربى** ﴾ أى قال عبد الله : إنما أدعو ربى وأعبده ﴿ **ولا أشرك به أحدا** ﴾ من خلقه . قرأ الجمهور : ﴿ **قال** ﴾ . وقرأ عاصم وحمزة : « قل » على الأمر ، وسبب نزولها : أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم ،وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نخبرك. ﴿ **قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدا**﴾ أى لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًا ولا أسوق إليكم خيرا . وقيل : الضرّ : الكفر ، والرشد : الهدى ، والأوّل أولى لوقوع النكرتين فى سياق النفى، فهما يعمان كل ضرر ، وكل رشد فى الدنيا والدين . ﴿ **قل إنى لن يجيرنى من الله أحد** ﴾ أى لا يدفع عنى أحد عذابه إن أنزله بى ﴿ **ولن أجد من دونه ملتحدا** ﴾ أى ملجأ ومعدلا وحرزا . والملتحد معناه فى اللغة : المحال ، أى موضعا أميل إليه، قال قتادة : مولى . وقال السدىّ : حرزا ، وقال الكلبى : مدخلا فى الأرض مثل السرب . وقيل : مذهبا ومسلكا، والمعنى متقارب ، ومنه قول الشاعر :

يا لهف نفسى ولهفا غير مجدية   عنى وما من قضاء الله ملتحد

والاستثناء فى قوله : ﴿ **إلا بلاغا من الله** ﴾ هو من قوله : ﴿ **لا أملك** ﴾ أى لا أملك ضرًا ولا رشدا إلا التبليغ من الله ، فإن فيه أعظم الرشد ، أو من ﴿ **ملتحدا** ﴾ أى لن أجد من دونه ملجأ إلا التبليغ . قال مقاتل : ذلك الذى يجيرنى من عذابه ، وقال قتادة : إلا بلاغا من الله ، فذلك الذى أملكه بتوفيق الله ، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما . قال الفراء : لكن أبلغكم ما أرسلت به ، فهو على هذا منقطع . وقال الزجاج : هو منصوب على البدل من قوله: ﴿**ملتحدا**﴾ أى ولن أجد من دونه ملتحدا إلا أن أبلغ ما يأتى من الله ، وقوله : ﴿**ورسالاته** ﴾ معطوفا على ﴿ **بلاغا** ﴾ أى إلا بلاغا من الله وإلا رسالاته التى أرسلنى بها

إليكم ، أو إلا أن أبلغ عن الله وأعمل برسالاته ، فآخذ نفسى بما آمر به غيرى . وقيل : الرسالات معطوفة على الاسم الشريف ، أى إلا بلاغا عن الله وعن رسالاته ،كذا قال أبو حيان ورجحه ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾ فى الأمر بالتوحيد لأن السياق فيه ﴿ **فإن له نار جهنم** ﴾ قرأ الجمهور بكسر إن على أنها جملة مستأنفة ، وقرئ بفتح الهمزة ؛ لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ، والتقدير : فجزاؤه أن له نار جهنم ، أو فحكمه أن له نار جهنم. وانتصاب ﴿**خالدين فيها** ﴾ على الحال ، أى فى النار أو فى جهنم ، والجمع باعتبار معنى مَنْ ، كما أن التوحيد فى قوله : ﴿ **فإن له**﴾ باعتبار لفظها ، وقوله : ﴿ **أبدا** ﴾ تأكيد لمعنى الخلود ، أى خالدين فيها بلا نهاية ﴿ **حتى إذا رأوا ما يوعدون** ﴾ يعنى : من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة، والمعنى : لا يزالون على ما هم عليه من الإصرار على الكفر وعداوة النبى ﷺ والمؤمنين حتى إذا رأوا الذى يوعدون به ﴿ **فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا** ﴾ أى من هو أضعف جندا ينتصر به وأقلّ عددا أهم أم المؤمنون ؟

﴿ **قل إن أدرى أقريب ما توعدون** ﴾ أى ما أدرى أقريب حصول ما توعدون من العذاب ﴿**أم يجعل له ربى أمدا**﴾ أى غاية ومدة . أمره الله سبحانه أن يقول لهم هذا القول لما قالوا له : متى يكون هذا الذى توعدنا به؟ قال عطاء : يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده ، والمعنى : أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه إلا الله . قرأ الجمهور: ﴿ **ربى** ﴾ بإسكان الياء ، وقرأ الحرميان وأبو عمرو بفتحها ، و« من » فى : ﴿ **من أضعف** ﴾ موصولة ، وأضعف خبر مبتدأ محذوف ، أى هو أضعف ، والجملة صلة الموصول ، ويجوز أن تكون استفهامية مرتفعة على الابتداء وأضعف خبرها ، والجملة فى محل نصب سادة مسدّ مفعولى أدرى ، وقوله: ﴿ **أقريب** ﴾ خبر مقدّم و﴿ **ما توعدون** ﴾ مبتدأ مؤخر .

﴿ **عالم الغيب** ﴾ قرأ الجمهور بالرفع على أنه بدل من ربى ، أو بيان له أو خبر مبتدأ محذوف ، والجملة مستأنفة مقررّة لما قبلها من عدم الدراية ، وقرئ بالنصب على المدح . وقرأ السرى : « علم الغيب » بصيغة الفعل ونصب الغيب ، والفاء فى : ﴿ **فلا يظهر على غيبه أحدا**﴾ لترتيب عدم الإظهار على تفردّه بعلم الغيب ، أى لا يطلع على الغيب الذى يعلمه ، وهو ما غاب عن العباد أحدا منهم . ثم استثنى فقال : ﴿ **إلا من ارتضى من رسول** ﴾ أى إلا من اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لإظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته . قال القرطبى [1] : قال العلماء : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضى من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحى إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم ، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر فى الكف ويزجر بالطين ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما

---

(١) القرطبى ١٠ / ٦٨١٩ .

يشاء من غيبه ، فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه . وقال سعيد بن جبير : إلا من ارتضى من رسول هو جبريل ، وفيه بعد . وقيل : المراد بقوله : ﴿ **إلا من ارتـضى من رسول**﴾: فإنه يطلعه على بعض غيبه ، وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة وأحكام التكاليف وجزاء الأعمال وما يبينه من أحوال الآخرة ، لا ما لا يتعلق برسالته من الغيوب ، كوقت قيام الساعة ونحوه . قال الواحدى: وفى هذا دليل على أن من ادّعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما فى القرآن . قال فى الكشاف [١] : وفى هذا إبطال للكرامات ؛ لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل ، وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب ، وإبطال للكهانة والتنجيم ؛ لأن أصحابهما أبعد شىء من الارتضاء وأدخله فى السخط .

قال الرازى : وعندى لا دلالة فى الآية على شىء مما قالوه إذ لا صيغة عموم فى غيبه ، فتحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة ؛ لأنه واقع بعد قوله : ﴿ **أقريب ما توعدون** ﴾ الآية، فإن قيل : فما معنى الاستثناء حينئذ؟ قلنا : لعله إذا قربت القيامة يظهره ، وكيف لا وقد قـال : ﴿ ويـوم تـشقق السمـاء بالغمـام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ [الفرقان : ٢٥] فتعلم الملائكة حينئذ قيام القيامة ، أو هو استثناء منقطع ، أى من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شرّ مردة الجنّ والإنس ، ويدلّ على أنه ليس المراد به لا يطلع أحدًا على شىء من المغيبات أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرّفا بحديث النبىّ ﷺ قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع إليهما كسرى . فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شىء من المغيبات ، وأيضا أطبق أهل الملل على أن معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة ويكون صادقا فيها ، وأيضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد إلى خراسان وسألها عن أمور مستقبلة فأخبرته بها ، فوقعت على وفق كلامها ، قال : وأخبرنى ناس محققون فى علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل ، فكانت على وفق خبرها ، وبالغ أبو البركات فى كتاب التعبير فى شرح حالها وقال : فحصت عن حالها ثلاثين سنة ، فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارا مطابقا ، وأيضا فإنا نشاهد ذلك فى أصحاب الإلهامات الصادقة ، وقد يوجد ذلك فى السحرة أيضا ، وقد نرى الأحكام النجومية مطابقة وإن كانت قد تتخلف ، ولو قلنا : إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرّق الطعن إلى القرآن ، فيكون التأويل ما ذكرنا ، انتهى كلامه .

قلت : أما قوله إذ لا صيغة عموم فى غيبه فباطل ، فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرّح به أئمة الأصول وغيرهم ، وأما قوله : أو هو استثناء منقطع فمجرّد

---

(١) الكشاف ٤ / ٦٣٢ .

دعوى يأباه النظم القرآنى ، وأما قوله : إن شقا وسطيحا إلخ ، فقد كانا فى زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه إلى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب ، كما ثبت فى الحديث الصحيح [١] ، وفى قوله : ﴿ إلا من خطف الخطفة ﴾ [الصافات : ١٠] ونحوها من الآيات ، فباب الكهانة قد ورد بيانه فى هذه الشريعة ، وأنه كان طريقا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية . وقالوا: ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** ﴾ فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بأدلته ، فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم ، فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية ، وأما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة ، ولو سلم وقوع شىء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث :« إن فى هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » [٢] ، فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا انقضاء لها ، وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله فى آخر كلامه فلو قلنا: إن القرآن يدلّ على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن فيقال له : ما هذه بأوّل زلة من زلاتك، وسقطة من سقطاتك ، وكم لها لديك من أشباه ونظائر نبض بها عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك ياعجبا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرّق الطعن إلى القرآن! وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا :

وإذا رامت الذبابة للشمـ ـس غطاء مدّت عليها جناحا

وقلت من أبيات :

مهب رياح سدّه بجناح وقابل بالمصباح ضوء صباح

فإن قلت : إذن قد تقرّر بهذا الدليل القرآنى أن الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه ، فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته ؟ قلت : نعم ولا مانع من ذلك . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة ، فمن ذلك ما صحّ أنه قام مقاما أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة ، وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها . حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله ﷺ بما يحدث من الفتن بعده [٣] ، حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا إليه ، وثبت فى الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر ، فقال : إن بينك وبينها بابا ، فقال عمر : هل يفتح أو يكسر ؟ فقال: بل يكسر، فعلم عمر أنه الباب ، وأن كسره قتله ، كما فى الحديث الصحيح المعروف

---

(١) سبق تخريجه فى أول السورة . (٢) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩٨ / ٢٣) عن عائشة .
(٣) مسلم فى الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩١ / ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

أنه قيل لحذيفة : هل كان عمر يعلم ذلك ؟ فقال : نعم كان يعلم أن دون غد الليلة [١] ، وكذلك ما ثبت من إخباره لأبى ذرّ بما يحدث له [٢] ، وإخباره لعلىّ بن أبى طالب بخبر ذى الثدية [٣] ، ونحو هذا مما يكثر تعدده ، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقلّ ، وإذا تقرّر هذا فلا مانع من أن يختصّ بعض صلحاء هذه الأمة بشىء من أخبار الغيب التى أظهرها الله لرسوله ، وأظهرها رسوله لبعض أمته ، وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم ، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل ، والكل من الفيض الرّبانى بواسطة الجناب النبوّى .

ثم ذكر سبحانه أنه يحفظ ذلك الغيب الذى يطلع عليه الرسول فقال : ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾ والجملة تقرير للإظهار المستفاد من الاستثناء ، والمعنى : أنه يجعل سبحانه بين يدى الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرّض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب ، أو يجعل بين يدى الوحى وخلفه حرسا من الملائكة يحوطونه من أن تسترقه الشياطين ، فتلقيه إلى الكهنة ، والمراد من جميع الجوانب . قال الضحاك : ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحفظونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك ، فإذا جاءه شيطان فى صورة الملك قالوا : هذا شيطان فاحذره ، وإن جاءه الملك قالوا : هذا رسول ربك ، قال ابن زيد : ﴿ **رصدا** ﴾ أى حفظة يحفظون النبىّ ﷺ من أمامه وورائه من الجنّ والشياطين ، قال قتادة وسعيد بن المسيب . هم أربعة من الملائكة حفظة ، وقال الفراء : المراد جبريل . قال فى الصحاح : الرصد : القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، والرصد للشىء : الراقب له ، يقال : رصده يرصده رصدا ورصدا ، والترصد : الترقب ، والمرصد : موضع الرصد .

﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ اللام متعلق بـ ﴿ **يسلك** ﴾ والمراد به : العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل ، وأن هى المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، والخبر الجملة ، والرسالات عبارة عن الغيب الذى أريد إظهاره لمن ارتضاه الله من رسول ، وضمير ﴿**أبلغوا** ﴾ يعود إلى الرصد . وقال قتادة ومقاتل : ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة ، وفيه حذف تتعلق به اللام ، أى أخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ . وقيل : ليعلم محمد أن جبريل ومن معه قد أبلغوا إليه رسالات ربه ، قاله سعيد بن جبير . وقيل : ليعلم الرسل أن الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم . وقيل : ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم من غير تخليط . وقال ابن قتيبة : أى ليعلم الجنّ أن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم ، وقال مجاهد : ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم .

---

(١) مسلم فى الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٣ / ٢٦) .

(٢) أحمد ٥ / ١٥٥ وابن حبان (٦٦٣٥) والحاكم ٣ / ٣٤٥ وسكت عنه ووافقه الذهبى .

(٣) أحمد ٣ / ٥٦ ومسلم فى الزكاة (١٤٧ / ١٤٨) والنسائى فى الكبرى (٨٥٦٨ / ١) والبيهقى ٨/ ١٧١ وفى دلائله ٦ / ٤٠١ ، ٤٠٢ .

قرأ الجمهور : ﴿ **ليعلم** ﴾ بفتح التحتية على البناء للفاعل . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب وزيد بن علىّ بضمها على البناء للمفعول ، أى ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا. وقال الزجاج : ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته ، أى ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا . وقرأ ابن أبى عبلة والزهرى بضم الياء وكسر اللام ﴿ **وأحاط بما لديهم** ﴾ أى بما عنده الرصد من الملائكة ، أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته ، والجملة فى محل نصب على الحال من فاعل ﴿ **يسلك** ﴾ بإضمار قد ، أى والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال . قال سعيد بن جبير : ليعلم أن ربهم قد أحاط بما لديهم فبلغوا رسالاته ﴿ **وأحصى كلّ شىء عددا** ﴾ من جميع الأشياء التى كانت والتى ستكون وهو معطوف على أحاط ، وعددا يجوز أن يكون منتصبا على التمييز محوّلا من المفعول به ، أى وأحصى عدد كل شىء ،كما فى قوله : ﴿وفجرنا الأرض عيونا ﴾ [القمر : ١٢] . ويجوز أن يكون منصوبا على المصدرية ، أو فى موضع الحال : معدودًا ، والمعنى . أن علمه سبحانه بالأشياء ليس على وجه الإجمال ، بل على وجه التفصيل ، أى أحصى كل فرد من مخلوقاته على حدة .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : ﴿ **القاسطون** ﴾ العادلون عن الحقّ . وأخرج ابن جرير عنه فى قوله : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة** ﴾ قال : أقاموا ما أمروا به ﴿**لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾ قال : معينا . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن السدّى قال : قال عمر : ﴿ **وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا** . **لنفتنهم فيه** ﴾ قال : حيثما كان الماء كان المال ، وحيثما كان المال كانت الفتنة . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ قال : لنبتليهم به ، وفى قوله : ﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابًا صعدا** ﴾ قال : شقة من العذاب يصعد فيها . وأخرج هناد وعبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم وصححه عنه فى قوله:﴿ **يسلكه عذابا صعدا**﴾ قال: جبلا فى جهنم . وأخرج ابن جرير عنه أيضا ﴿**عذابا صعدا**﴾ قال: لا راحة فيه. وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله: ﴿ **وأن المساجد لله**﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيلياء ببيت المقدس .

وأخرج ابن مردويه ، وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود قال : خرج رسول الله ﷺ قبل الهجرة إلى نواحى مكة فخط لى خطا ، وقال :« لا تحدثن شيئا حتى آتيك » ثم قال : «لا يهولنك شيئا تراه ، فتقدم شيئا» ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزطّ ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا**﴾[1] .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال : لما سمعوا النبى ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول،

(١) البيهقى فى الدلائل ٦ / ٢٢٧ .

فجعل يقرئه : ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ** ﴾ [١] . وأخرج عبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، وابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والضياء فى المختارة عنه أيضًا فى الآية قال : لما أتى الجنّ إلى رسول الله وهو يصلى بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، فعجبوا من طواعية أصحابه ، فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه : ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾ [٢] . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه** ﴾ أى يدعو الله . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾ قال : أعوانا .

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه أيضا : ﴿ **فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول** ﴾ قال: أعلم الله الرسول من الغيب : الوحى وأظهره عليه مما أوحى إليه من غيبه وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره. وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضًا : ﴿ **رصدا** ﴾ قال : هى معقبات من الملائكة يحفظون رسول الله من الشياطين حتى تبين الذى أرسل إليهم به، وذلك حتى يقول أهل الشرك : قد أبلغوا رسالات ربهم . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا قال : مما أنزل الله على نبيه آية من القرآن إلا ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها ، حتى يؤدوها إلى رسول الله ﷺ ، ثم قرأ : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** ﴾ يعنى : الملائكة الأربعة ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ .

---

(١) ابن جرير ٢٩ / ٧٤ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٣٢٣) وقال : « حسن صحيح » وابن جرير ٢٩ / ٧٤ وصححه الحاكم ٢ / ٥٠٤ ووافقه الذهبى .